المبكى او البراق – « القلم حاجبة »

المبكى او البراق

مختصرًا عن مجلة العالم الاسلامي *The Moslem World* ، اوكتوبر ، ص ٣٢١ بتوقيع شارلس ماتيوس (C. Matthews)

المبكى او البراق ! جوهرة نادرة الوجود ، تنعكس فيها العواطف الدينية بين تحمس في سبيل الماضي، ماضي البطولة والمستقبل، مستقبل الامل والحياة، وبين تعصب ذميم وجهل عميم . اتدري مـا هو حائط بلاد الصين وشهرته ! فاعـلم ان المبكى ، او حائط الدموع ، صار في اعين الدول اهم من حائط الصين . هنـاك وقف مسلمو فلسطين ، ومن ورائهم مسلمو الشرق الادنى بالمرصاد لليهود. وما ان احتكّ قوم بقوم ، حتى طارت بينهم شرارة ادّت الى سفك الدماء سنة ١٩٢٩ ؛ ولم تنطفئ الشرارة بعد. حتى ان دولة من عظيمات دول التاريخ اضطرت الى التدخل في الامر فشكّلت لجنةً مهيبةً شأنها البحث في القضية عسى ان تصل الى توفيق بين الخصوم.

الا يزول الخـلاف اذا تبيّن للمسلمين ان البراق ليس في الموضع الـذي يبكي عنده اليهود ، ولكن في موضع آخر ! وذلك باعتبار التعليلات الصادرة من صميم تواريخ الاسلام والادلة الاثرية.

ومهما يكن من امر الدواعي التي يتشبّث بها كلا الفريقـين من يهود ومسلمين ليكافحوا في سبيل نظريتهم في امر البراق ، فليس من شان كاتب

هذه المقالة ان يتحزّب الى فريق على خصمه ، وما غايته الا البحث عن موقع البراق ، مسترشداً باقوال المؤرخين والعلماء ، من نقبوا على آثار الهيكل ، واهتدوا الى وضع رسومه ، وتعيين اسماء ابوابه ، وفهم ما قاله فيه المؤرخون والمحدثون المسلمون.

ليس المقام للاسهاب في حكاية الاسراء وكيف مضى ، كما يقولون ، الملاك جبرائيل بمحمد ، على « البراق » ، وطار به الى ان زوّره بيت المقدس ، حيث ربط محمد الدابة على الباب وقام بواجب العبادات ، كسائر الانبياء الذين سبقوه الى ذلك المكان ، وعاد في الليلة ذاتها الى مكة . ان تلك القصة صار البعض ، حتى من المسلمين ، يعتبرونها اسطورة واولوا لفظة « الاسراء » بمعنى خروج محمد ليلاً من مكة لاحدى غاراته او هجرته الى المدينة سنة ٦٢٢ .

على ان الجمهور سخط على من قالوا ذلك القول ، والاعتقاد العام لا يزال سائداً ان حائط البراق هو مربط الحيوان الذي حمل النبي العربي من مكة الى فلسطين . فان كان ولا بدّ من ان يكون الامر كذلك فاين مربط البراق ؟

ذكر المؤلف يوسيفوس ان للهيكل الذي بناه هيرودوس مداخل : من الجانب الغربي الجنوبي ومن الجانب الجنوبي . ومن الامر المعجب ان اورشليم ، بالرغم عما حلّ فيها من النكبات والحروب والزلازل على مدى الزمان منذ ايام هيرودوس الى عهدنا هذا ، لم تفقد اثر ابواب الهيكل القديمة فاذا اتيت الهيكل من الجانب الجنوبي الغربي رأيت ثلاثة ابواب : الشمالي منها موقعه في منتصف الحائط الغربي واسمه باب السلسلة ، والجنوبي موقعه بالقرب من زاوية البيت الجنوبية بغرب ، ولم يبقَ منه الا اثر انما هي نافذة واسعة ، غير بعيدة عن مأذنة الحرم الشريف ؛ وما بين البابين يوجد الباب الثالث وهو الذي يهمنا امره في الساعة الحاضرة ، وقد كان تحت الباب المسمى اليوم باب المغاربة ، وهو في الغالب ، ثاني الابواب التي ذكرها يوسيفوس كونها واقعة في ظواهر المدينة ، وكان ذلك الباب في مستوى من الارض اسفل من مستوى البابين الثانيين فاهمل استعماله بعد ان رممت الارض ورُفع مستواها ، ومن ثم سد

تماماً وأدغم في حائط الحرم الشريف . ذلك الباب المتوارى عن العيون اكتشفه الاميركاني بركلي ، وحوله تدور ، حالاً ، تطلبات المسلمين وهم يسمونه باب النبي او باب البراق ويحرصون عليه اشد الحرص . وقد وضعوا عليه حجرة ضخمة وقالوا ان هناك نزل محمد عن البراق وربطه . وفي داخل الحائط جامع صغير يسمى جامع البراق ، وهناك في احدى عوارض المدخل حلقة حديد لا يراها الا القليلون من المختارين ، ويقولون ان البراق ربط هناك . وقد قدسوا الحائط ثم الحائط الشمالي المجاور للمكان ، وعنده المضيق الذي يُسمح فيه لليهود ان يقيموا واجبات العبادة منذ السنين التي تلت خراب اورشليم على عهد الرومان سنة ٧٠ للمسيح .

على ان ذلك الباب ليس هو البراق الحقيقي واليك الدليل على صحة كلامنا . ان في الجانب الجنوبي للهيكل ثلاثة ابواب ، وقد غاب اثر احدها تحت بناية المسجد الاقصى وهذا الباب المتواري عن العيون ، لا غيره انما هو في اعتبار المؤرخين العرب باب البراق الحقيقي .

قال ابن الفقيه ان موضع مربط الدابة كان في زاوية المأذنة الجنوبية . وقال ابن عبد ربه انه تحت زاوية المسجد . وقد يذكر المقدسي باب النبي ولكن بعبارة دالة على ان البراق في نظره هو الباب الذي ذكرنا موقعه في الجنوب البائد اثره منذ بني المسجد الاقصى . اما قول ناصري خسرو المؤرخ الفارسي فهو الفصل في القضية قال : وهناك الباب الموجه الى القبلة ، الى مكة ، وهو باب النبي لانه على طريق من يأتي من مكة ، دخله النبي ليلة الاسراء . وعلى هذه الاقوال يعتمد المؤرخون والاثريون في قولهم ان ما يسميه المسلمون الحاليون البراق ليس هو في الموضع القائم الخلاف عليه حالاً في فلسطين ، ولكن في غيره ، وهو الباب الجنوبي المحجوب ، اما العادة التي ادت الى تسمية باب المغاربة الحالي بأب النبي فقد دخلت تدريجاً عندما توارى الباب الاول بعد بناية المسجد الاقصى .

« القلم حاجيّ »

جاء في « العرفان » المجلد ٣٣ الجزء ٣ ، ص ٢١٤ ، موقعاً باسم السيد عبد الرزاق الحسني من النجف :

« البندنيجين » قصبة من القصبات العراقية المعروفة ان في الماضي وان في الحاضر وهي تسمّى اليوم « مندلي » ومنها البرتقال المشهور « ببرتقال مندلي » وقد كانت منبت رجال الفضل والادب في ايام العباسيين . اما الان فهي مشهورة بكثرة النخيل والفواكه وتبعد عن بغداد زهاء ٩٠ ميلاً واهلها من العرب الذين تغلبت عليهم العجمة فانقلبوا يتكلمون بها ورطانتهم مزيج من اربع لغات هي العربية والتركية والكردية والفارسية بحيث ان العربي الفصيح اذا حلّ فيها ليشعر بنفسه كأنه في العصبة الامية .

وفي هذه القصبة وفي قرية مجاورة لها تسمى « دوشيخ[1] » طائفة خرجت من الاسلام مؤخراً كما خرجت منه طوائف كثيرة مختلفة في سورية وفي العراق واعني بهذه الطائفة « القلم حاجية » نسبة الى « قلم حاج » و « قلم حاج » هذه اسم المحلة التي يسكنونها من محلات البندنيجين « اي مندلي » ويظن ان اسم المحلة محرّف عن قلعة مير حاج « اي قلعة الامير الحاج » وهو الاسم الذي تسمى به هذه المحلة احياناً الى الان .

يبلغ عدد نفوس هذه الطائفة في القصبة المذكورة وفي القرية المجاورة لها ٢٣٨٥ نسمة عدداً يسكنون في ٢١٢ بيتاً وهم كثيرو التقية شديدو الحرص على كتمان معتقدهم . والذي عندي انهم قسم من « العلي اللاهية » المشهورين في فارس وسورية والعراق . وقد غالت هذه الطائفة في محبة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام غلواً عظيماً حتى نسبت اليه جميع المعجزات واعتقدت بحلول روح الله تعالى في جسد علي (ع) فضلت السبيل وخرجت بذلك من الاسلام .

---

١) تبعد قرية « دوشيخ » عن مندلي ١٠ اميال بقرب قرية قزانية .

ليس للقلم حاجية صلاة معينة يتممونها في اوقات مقررة اسوة ببقية اصحاب الاديان المختلفة وليست لهم مساجد للصلاة لانهم يقولون بان علياً هو الذي يصلي بالنيابة عنهم ، ولهذا فانهم يكتفون بصلاته. وهم يصومون ثلاثة ايام من شهر كانون الاول من كل سنة معتقدين بان حكم الصيام الوارد ذكره في القرآن الكريم نزل باللغة الكردية فهو « سه روز » اي ثلاثة ايام كما فهموه لا « سي روز » اي ثلاثون يوماً كما فهمه المسلمون ، كما انهم يؤمنون باليوم الاخر ويختنون اطفالهم كالمسلمين ويتجنبون النجاسات التي يتجنبها المسلمون اي انهم يستحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويستنجون البول والغائط وسائر الاشياء النجسة ويقرأون القرآن ككتاب مقدس لهم متعوذين بالشيطان (!) تعوّذ المسلمين.

ويتهم المتدلاويون افراد هذه الطائفة بوجود ليلة الكفشة عندهم ، اي انهم يستحلون في احدى ليالي السنة الفجور والزنى وانواع الموبقات ، والذي احتمله ان هذا افتراء يراد بـه الحط من كرامتهم او استحلال دمهم لانهم مختلطين (كذا !) باهالي مندلي اختلاطاً كلياً ، ولا يوجد في مندلي ولا في بقية الاوساط العراقية من يستبيح مثل هذه المنكرات ليأخذ هؤلاء عنهم هذه العادة.

وللقلم حاجية تكية ومزار يقعان في محلتهم . اما التكية فمجردة من كل شيء والظاهر انها محل للاجتماع الديني فقط ، واما المزار فقبر مدفون فيه احد شيوخهم العظام المدعو « الشيخ بابا طاهر » وقد دخلته فلم اجد فيه كتابة يُفهم منها معنى . وفيهم وجوه مقدمون عند الحكومة وعند الاهلين اضراب حسين مسلم ومحمد مختار بابا رضا وغيرهم ، وقد مات في الاونة الاخيرة . وهم يقبرون موتاهم على نحو ما يقبر المسلمون موتاهم ، الا انهم يفضلون القبور الدوارس ولعلهم يأخذون هذا المعنى من الحديث الشريف « خير القبور الدوارس ».

ويقصد هذه الطائفة في كل ثلاث سنوات مرة رجل من كركوك يدعى « محمود هجري » فيحل لهم معضلاتهم الدينية وقضاياهم الدنيوية وينعمون عليه بمال وعطاء . ومحمود هجري هذا عالم من علماء الكاكائية ، والكاكائية

فرع من الطي اللاحية، كما ان القلم حاجية فرع منها.

ويأخذ القلم حاجيون بنظريتي الطلاق وتعدد الزوجات وهم لا يحفون شواربهم مطلقاً ، اما لحاهم فهي عرضة للموسى في كل حين وابغض الناس اليهم الشيعة الإمامية اما ابناء السنة فيخالطونهم مخالطة تامة ولكنهم لا يناكحونهم ، والغريب ان افراد هذه الطائفة كثيراً ما يشتركون مع الشيعيين في اقامة مآتم سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) في ايام المحرم ، ومع هذا فانهم لا يأكلون اكلهم ولا يشربون شربهم ، وقد بدأوا يرسلون اولادهم الى المدارس في الآونة الاخيرة فاذا استمر ابناؤهم على ارتشاف مناهل العلم العذبة والاغتراف من حياضها المترعة ، فسوف لا ينتهي القرن الرابع عشر للهجرة الا وينقرض هؤلاء من سفر الوجود ، شأن الطوائف التي لا تستند على ديناتها الى آداب دينية يقرها العقل ويقبل بها المنطق.

نُسر برواية المقال ونتمنى للرصينة الكريمة ان تأتي كثيراً بما يفيدنا اخذه عنها ، فنذكر لها الفضل . وكنا نود ان نروي التعليقات التي وضعها المؤلف على ما يُنسب من المستكرات الى بعض المذاهب لولا حراجة الموضوع ، ورغبتنا بان نتحاشى عن كل ما يمكن ان يمسّ العاطفة الدينية مساً لا ينتج الخير عنه . اما التنويه بما قاله ياقوت عن الدير فقال صاحب المقال ان يستقي في شأنه كريمته او احدى فتيات المسلمين الدارسات في معاهد الراهبات ، المقامات ليسلّ ثائراً على حياتهنّ فيخبرنه كيف يعيش ملائكة الله على الارض ، او فليسأل احد اخواننا المسلمين الذين قضوا اياماً واسابيع للتطبب في احد مستشفياتنا وشهدوا عن كثب اعمال الراهبات فيخبروه عما رأوه من روح التفاني والتجرد عن اطايب الحياة وملذاتها التي اخلت لهم مظاهرها بأبهى مجاليها فحببت اليهم البتولية المسيحية واخذت بمجامع قلوبهم.

ف . ت .